Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتسلطة، فيصبح الفعل الشعرى فعلاً تحويلياً يغيّر من طبيعة اللغة ذاتها، بما أنه يعيد صياغتها صياغة تستجيب لمقتضيات النسقين".(١)

وهكذا ندرك لماذا ينبغى وزن القافية وزنا شعرياً؛ فالقافية تنتج من تزاوج النظامين: الإيقاعى واللغوى، ومن ثم فإن وزنها يكون جزءًا من الميزان العروضى العام للبيت ويُستَخدَم فى تحديد وزنها الأساس اللغوى للوزن الشعرى، وهو الحركة (/) والسكون (٥) أو ما يُطْلق عليه "الفونيم الإيقاعى".

هذا بالنسبة للقافية، أما فيما يتعلق بوزن السجع وزنا صرفيّا، فإن ذلك المسلك يجد هو أيضا تفسيره الخاص بالنظر إلى طبيعة النثر. فالبنيات النثرية لا تقوم على مبدأ التعاقب فى الزمن، ولا يتسلط بها قالب اعتبارى سابق على الكلام؛ أقصد البحر الشعرى، فهى حرّة إلا من توجيه المعنى الذى يكون مُتمثَّلاً فى الذهن ثم يخرج فى صورة مادية من خلال عمليتى: اختيار المفردات والتأليف بينها، على معنى أن الخطاب النثرى ينشأ عن نظام وحيد وهو النظام اللغوى مفردات وتراكيب. هذا هو الشىء الذى تفطّن إليه القدماء، إذ أدركوا، وهُم يحددون الطبيعة المفارقة للجنسين: الشعر والنثر، أن الكلام فيهما يجرى على وجه مغاير، من حيث يتحكم نظامان فى بنية الخطاب الشعرى، بينما يتحكم نظام واحد فى بنية الخطاب النثرى. ومن هذا المنطلق، وجدنا البلاغيين فى تعاملهم مع النثر والنثر المسجوع، يبحثون عن بديل للفونيم الإيقاعى بوصفه أساسًا وزنيًا يمثل خبرة مشروطة ببنيات التفاعيل.

فمن المعلوم، أن الدوال فى النثر تتحرّك متحررة من الارتباط بتفعيلة، أو بمعنى أدق، متحررة من الارتباط بميزان نظرى كالذى قامت بحور الشعر ببلورة أشكاله. غير أنه ربما خلّفت حركة الدوال داخل الجمل المتتابعة بعض التوازنات الوزنية نتيجة التقابل المكانى بين دالين لهما نفس الهيئة. ومن هنا ظفر الدال بعناية مضعّفة بصفتيه الإفراديّة والتركيبية،(٢) ثم من جهة ربط عمليّة الوزن الإيقاعى فى النثر بحدود الكلمة التى صارت مجال النظر الوزنى فى

---

(١) الشعر وصفة الشعر فى التراث، حمادى صمود، (فصول) مجلة النقد الأدبى، تراثنا النقدى، جـ الأول، م٦، ع١، أكتوبر، ديسمبر ١٩٨٥، ص ٧٨.

(٢) يعرّف أحمد مختار عمر "الكلمة" بأنها: "مصطلح له فى المقام الأول مغزى نحوى". راجع دراسة الصوت اللغوى، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط أولى، ١٩٧٦، ص ٢٤٠.